شؤون فلسطينية

للصهيونية ، ولوليدتها « اسرائيل » ، سجل حافل بالتناقضات . فهي الحركة التي « ترمي الى حماية اليهود » واذا بها تضعهم في خطر دائم ، وهي التي « تريد أن تحمي حقوق المضطهدين » فتضطهد أصحاب الحق ، وهي « الحركة القومية » التي تقوم على فكرة الدين الذي لا يعترف بالقوميات ، وهي « الحركة الانسانية » التي تصنف البشر وتستبيح تنكيل بعضهم ببعضهم الآخر ... الى غير ذلك من التناقضات التي لا تجتمع في حركة سياسية واحدة بمثل ما اجتمعت في الصهيونية ، فكرا وواقعا . غير ان هناك تناقضا آخر تكاد الصهيونية ، ووليدتها « اسرائيل » ، تنفرد به وتبلغ به حدا غريبا جدا ، وهو أنها « رسالة الحضارة والثقافة في الشرق » وان وليدتها هي « واحة الخير والمعرفة في صحراء العرب » ، بينما الواقع ، الذي نعرفه ونعيشه نحن العرب يوما بعد آخر ، يكشف لنا عن نقيض ذلك . فهي ، اذا ضربت مصر ، تختار مدرسة للصغار . واذا ضربت دمشق تختار مركزا للثقافة . واذا ضربت بيروت تختار مكتبة . واذا ضربت مخيما تختار المدرسة او دار الحضانة او المستوصف . واذا قتلت رجلا تفضل الشاعر او القاص او المفكر.

هذا ما نعرفه نحن . لكن مثقفي العالم وعلماءه وفنانيه الكبار ، ومن بينهم العديد من الحاصلين على جائزة نوبل ، لا يعرفون ما نعرفه نحن . ولا يرون الصورة بشكلها الحقيقي . بل هم يرونها كما تعكسها لهم الدعاوة الصهيونية : اسرائيل الواحة وصاحبة الرسالة والجسر الذي ينقل للعرب حضارات العالم والمصباح الذي ينير طريقنا الخ ... لذلك هم يخافون على اسرائيل . وهم أول من يتنادون الى مساعدتها وحمايتها وتأمين سبل الحياة والاستقرار والنمو لها . وهم ، كما حصل في الايام الماضية ، يتكبدون مشاق السفر ليجتمعوا وليتدارسوا « اضطهاد » اليونسكو لاسرائيل وليقرروا ضرورة دعم اسرائيل لتبقى المنارة المنيرة والواحة المعطاء . ويتكلمون وكأنهم يمزحون . ونقرأ ولا نصدق .

وقد آن لنا أن نقف وقفة هادئة امام هذه الظاهرة الغريبة ، بعيدا عن الانفعال وعن التهيج ، لنحاول ان نفسر هذه الظاهرة اولا ولنجد لها العلاج ثانيا . اذ لا يكفي ، ولا يفيد أبدا ، ان يبلغ بنا تبسيط الامور بأن نوجز المشكلة كلها باصدار حكم عام غير محدد : ما هؤلاء المجتمعون الكبار لنصرة العدو والتستر عليه الا صهيونيين متواطئين ومشاركين في الارهاب والتهديم والخداع وكل ما تقترفه أيدي سلطات اسرائيل . أو هم عملاء يخدمون الصهيونية واسرائيل لقاء اجر أو اغراء .

لا شك أن بين المجتمعين في باريس في الاسبوع الماضي لنصرة اسرائيل « ثقافيا » مجموعة من الصهيونيين الملتزمين والعاملين المكرسين لاسرائيل . ولكن لا شك أيضا ان علماء وفنانين وفقهاء وفلاسفة وادباء وشخصيات عالمية مرموقة اخرى كثيرة ، من عشرات الجنسيات ومن مختلف الاديان والاتجاهات الفكرية والسياسية ، يشاركون الصهيونيين في محاولاتهم لدعم اسرائيل ، وخاصة للتستر على آثامها ولتبرير اعتداءاتها وللطعن بالعرب وللدعوة ضد الثورة الفلسطينية . وخطورة مساعي هؤلاء ، وخطرها ، كبيران جدا : ليس لضخامة عددهم واهمية مناصبهم وتوزعهم على بلدان ومجتمعات ومؤسسات كثيرة ، فقط ، وانما لقناعتهم بصحة ما يفعلون . ومثل هؤلاء تحملهم قناعاتهم الى أقصى درجات الجهد في التعبير عن أفكارهم تعبيرا فعليا .

هنا يأتي رد فعلنا المتسرع والسطحي قاصرا عن رؤية الاسباب واستنباط الحلول . فلو كانت تلك الغالبية من الشخصيات الفكرية الكبيرة في العالم تؤيد اسرائيل من تواطؤ عقائدي ، أي عن تصهين ، أو